العرب لا ينهضون إلا بالدين[1]

يقول ابن خلدون في مقدمته:

«والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية، كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم. وذلك بما يشملهم من الدين المهذب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس. فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك.

وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى، لسلامة طباعهم عن عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيء لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن «كل مولود يولد على الفطرة» كما ورد الحديث».

يقول الشيخ محمد الغزالي في وصف الحالة التي عليها العرب في مواجهة اليهود:

«إن اليهودية قد قامت إلى جوارنا ديناً ودولة، وهي ماضية في خطتها

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٢.

التي نشأت عليها.. تشعل جذوة العقيدة في القلوب، ولقد استطاع اليهود - بعد الجولة الأولى - في حرب فلسطين أن يضعوا قدماً على الأرض المقدسة.. وهم الآن يبذلون الجهود المريرة ليضعوا القدم الأخرى ثم يستأنفون - بعد تثبيت أقدامهم - مراحل العدوان على ما وراء فلسطين من أرض العروبة والإسلام، فإذا جئت إلينا وجدت عجباً..

إن نصف الدين مهدوم في المجتمع، لأن تعاليمه معزولة عن الحكم، ونصفه الآخر مهدوم في القلوب، لأن الشهوات الرخيصة عصفت بمثله العليا عصفا.

ووالله ما يخز في نفسي شيء مثل أن أرى الذين خاضوا المعركة أول الأمر لم يغيروا إلا قليلاً - أو لم يغيروا شيئاً - من أحوالهم النفسية والخلقية ثم يجب أن نعلم وأن نعترف بأن العقيدة لا تهزمها إلا العقيدة، وأن التحلل الخلقي والانهيار الاجتماعي ليسا من وسائل النصر أبداً، إن انعطاف المسلمين الشديد إلى القرآن وتعاليمه وأحكامه وترابطهم باسمه ومصارحتهم العدو والصديق بهذه الحقيقة الواضحة هو وحده طريق التحول في هذه الحرب بيننا وبين اليهود».

****